مبدأ الإحسان من أهم ما جاءت به الشريعة

إن من أجمل وأروع ما جاءت به الشريعة الإسلامية هو الإحسان وإن كانت الشريعة كلها جمال وروعة، ولكن انظر كيف أمرنا الله في شرعه بالإحسان في كل شيء، وعندما تتدبر عناية الله فيما شرعه من أحكام تجد الإحسان في جميع مناحي الحياة، نعم..فالإحسان في الشريعة ظاهر في كل مناحي الحياة، وتأمل معي دلائله:

الإحسان في الكلام:

ففي الكلمة، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]، وقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾[2].

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَعَلَيْكَ» قَالَتْ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَعَلَيْكَ» قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: بَلِ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَغَضَبُ اللهِ إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ

(١) سورة: البقرة الآية: ٨٣.

(٢) سورة: الإسراء الآية: ٥٣.

وَالْخَنَازِيرِ، أَتُحَبُّونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَا لَمْ يُحَيِّهِ بِهِ اللهُ؟ قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ، فَقَالَ: «مَهْ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، قَالُوا قَوْلًا، فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْءٌ، وَلَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ»[1].

ما هذا الأدب الجم؟! وما هذا الخلق الرفيع ؟! ولم لا ؟! أليس المتكلم هو رسول الله ﷺ الذي قال فيه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[2].

إنه يعلم زوجته الحبيبة كيف يكون الإحسان في الكلام، ويبين أن الله لا يحب الفحش من القول، إن الذي علمه هذا الأدب وهذا الخلق وفطره عليه هو الله جل وعلا.

وفي حديث آخر عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٠٢٩)، (٤١/ ٤٨١)، وصححه الألباني في: (أصل صفة الصلاة) (١/ ٣٨٩).

(٢) سورة: القلم الآية: ٤.

(٣) أخرجه أحمد: (٢١٣٥٤)، (٣٥/ ٢٨٤)، والترمذي (١٩٨٧): أَبْوَابُ الْبِرِّ

فالحُسْن مِنَ القَوْلِ: يأمُر بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَحْلُمُ، وَيَعْفُو، وَيَصْفَحُ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا قَالَ اللهُ، وَهُوَ كُلُّ خُلُقٍ حَسَنٍ رَضِيَهُ اللهُ[1].

يقول السعدي: «وهذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله، من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما.

والقول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.

وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم.

فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يلينوا فيما بينهم لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم فإنه

---

[1] وَالصَّلَاةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ح (٩٧).

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٣١٧).

عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه فإنه يدعو ﴿حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾.

وأما إخوانهم فإنهم وإن نزغ الشيطان فيما بينهم وسعى في العداوة فإن الحزم كل الحزم السعي في ضد عدوهم وأن يقمعوا أنفسهم الأمارة بالسوء التي يدخل الشيطان من قبلها فبذلك يطيعون ربهم ويستقيم أمرهم ويهدون لرشدهم »[1].

الإحسان عند الجدال:

وفي الجدال بين المسلمين وغيرهم، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾[2].

والمعنى: «﴿ ٱدْعُ ﴾ يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ يقول بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٤٦٠).

(٢) سورة: النحل الآية: ١٢٥.

القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك[1]».

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[2].

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، وهم ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ يقول: إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه.[3]

الإحسان مع الوالدين:

وفي الإحسان مع الوالدين، قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[4].

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ معناه ووصى بالوالدين إحسانًا، يعني أن يحسن إليهما بالبر بهما في الفعل والقول. ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ أي: يبلغن كبرك وكمال عقلك. أو يبلغان كبرهما بالضعف والهرم. ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ يعني: حين ترى منهما الأذى

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٤٠٠).

(٢) سورة: العنكبوت الآية: ٤٦.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٤١٧).

(٤) سورة: الإسراء الآيتان: ٢٣، ٢٤.

وتميط عنهما الخلاء، وتزيل عنهما القذى فلا تضجر، كما كانا يميطانه عنك وأنت صغير من غير ضجر. وكلمة أف تعني كل ما غلظ من الكلام وقبح أو هي كلمة تدل على التبرم والضجر. ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: قولا لينا حسنا [١].

وقال ابن كثير في تفسيره: «أَوْصَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ اللهَ، سُبْحَانَهُ، جَعَلَهُمَا سَبَبًا لِخُرُوجِكَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَكَثِيرًا مَا يَقْرِنُ اللهُ، سُبْحَانَهُ، بَيْنَ عِبَادَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [٢] [٣].

الإحسان عند الطلاق:

وفي العشرة الزوجية أمرنا الله بالمعروف، فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [٤].

وعند الطلاق أمرنا بالإحسان، فقال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [٥].

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٢٨).

(٢) سورة: لقمان الآية: ١٤.

(٣) تفسير ابن كثير: (٦/ ٢٩٨).

(٤) سورة: النساء الآية: ١٩.

(٥) سورة: البقرة الآية: ٢٢٩.

عَنِ السُّدِّيِّ، قَوْلُهُ: «﴿أَوْتَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ﴾ أَنْ يُوَفِّيَهَا حَقَّهَا وَلَا يُؤْذِيَهَا وَلَا يَشْتُمُهَا[1]».

الإحسان يشمل شتى مناحي الحياة:

الإحسان عام في كل شيء؛ ومن أهمّ الميادين الّتي تتجلّى فيها علاقة الإحسان:

١- مواجهة الملمّات بالصّبر عليها، قال تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾[2].

٢- أداء الدّية لولي القتيل، وذلك قوله تعالى:

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾[3].

٣- معاملة المطلّقات أو من ينوى طلاقهنّ، قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾[4].

٤- الحرب والجهاد، وذلك قول الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤١٩) رقم (٢٢١١).

(٢) سورة: هود الآية: ١١٥.

(٣) سورة: البقرة الآية: ١٧٨.

(٤) سورة: البقرة الآية: ٢٣٦.

(٥) سورة: العنكبوت الآية: ٦٩.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[1].

يقول الشيخ الغزالي: هنا يذكر القرآن الكريم معنى آخر للإحسان، فالأمم لا تخدم رسالتها بالبخل وكراهية الإنفاق في سبيل الله، والحروب قديمًا وحديثًا تتطلّب مالًا كثيرًا... والعرب والمسلمون مكلّفون بمعرفة هذه الحقيقة، ولن يسلم لهم دينهم وتبقى لهم بلادهم (حرّة أبيّة) إلّا إذا توسّعوا في الإنفاق الحربي، وأحسنوا تهيئة كلّ شيء لكسب المعركة، ويشهد لذلك ما جاء في آيات أخرى عن حقيقة الإحسان، ودائرته الرّحبة، فهي تتطلّب الصّمود والبسالة إلى الرّمق الأخير، يقول المولى عزّ وجلّ:

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾[2].

٥- مجاهدة النّفس بكظم الغيظ ومحاربة الشّحّ وكبح شهوة الانتقام، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

---

(١) سورة: البقرة الآية: ١٩٥.

(٢) سورة: آل عمران الآيتان: ١٤٧، ١٤٨.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[1].

وتتضمّن هذه الآية الكريمة الإحسان إلى المسيء بالعفو عنه، يقول الشّيخ الغزاليّ: كظم الغيظ مرتبة عالية، ولكنّ المرتبة الأعلى هي العفو عند المقدرة، وتلك درجة الإحسان.

٦- الحوار الفكريّ والتّواصل الثّقافيّ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[2].

٧- التّحاور بين المسلمين وأهل الكتاب، قال تعالى:

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3].

٨- الخصومة والخلافات.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4].

٩- معاملة اليتامى والضّعفاء.

يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[5].

---

(١) سورة: آل عمران الآية: ١٣٤.

(٢) سورة: الإسراء الآية: ٥٣.

(٣) سورة: العنكبوت الآية: ٤٦.

(٤) سورة: فصلت الآية: ٣٤.

(٥) سورة: الأنعام الآية: ١٥٢.

١٠ - العلاقات السياسية والحربية.

قال سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءَ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨﴾[1].

١١ - العلاقات الاجتماعية وخاصة ما يتعلّق بتبادل التحية وردّ السلام.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾[2].

١٢ - العلاقات الاقتصادية.

يقول المولى عزّ وجلّ في قصة قارون: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾[3].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[4].

---

(١) سورة: الكهف الآيات: ٨٦-٨٨.

(٢) سورة: النساء الآية ٨٦.

(٣) سورة: القصص الآية: ٧٧.

(٤) سورة: البقرة الآية: ١٩٥.

لقد تمّ الرّبط في هذه الآية الكريمة بين الإنفاقوهو المظهر الاقتصاديّ للإحسان وبين التّهلكة (خراب المجتمع)، وسبب ذلك كما يقول بعض الباحثين: إنّ المجتمعات التي تقوم على الاستغلال والاحتكار تفرز الطّبقيّة، وتبذر بذور الصراع الاجتماعي في الدّاخل، وتؤدّي إلى الصّراعات العالميّة في الخارج، وينتج عن ذلك شقاء الفريقين جميعًا، المُسْتَغِلُّون والمُسْتَغَلُّون، فالطّبقة الأولى تقع فريسة للغربة والعزلة من ناحية وفقدان المحبة وشيوع النفاق من ناحية أخرى، كما أنه يتولد لديها الشعور بالخوف وعدم الأمان من ناحية ثالثة، أما طبقة المستضعفين فإنها تقع فريسة لمجموعة من الأخطار أهمها: كره الطبقات العليا المحتكرة والحقد عليها من ناحية ثم الإحساس بالغبن والإحباط من ناحية ثانية، وأخيرًا فإنها تميل إلى الجريمة والاستعداد للعنف من ناحية ثالثة.

إنّ تمكن هذه الآفات الاجتماعية في كلتا الطبقتين هو التهلكة التي تشير إليها الآية الكريمة وتحذر منها وتدعو إلى معالجتها بالإحسان والإنفاق.

وهكذا نرى الإحسان يشمل الفرد والمجتمع والدّولة والحياة بأسرها وأنه لن تقوم تربية راشدة إلا إذا غرسنا معنى

الإحسان في النفوس على أنه من محابِّ الله تعالى، وقد تضمَّن الإحسان كما رأينا النَّوايا والمقاصد والعبادات كما تناول الأقوال والأفعال ليس هذا فحسب وإنما شمل أيضًا الإحسان إلى المخلوقات كافة من حيوان وجماد ونبات [1].

ومرتبة الإحسان هي عليا المراتب في الإسلام، وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة، فإنها تفعل الطاعات كلها، وتنتهي عن المعاصي كلها، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء.

وهذا هو التعقيب الذي ينهي آيات القتال والإنفاق، فيكل النفس في أمر الجهاد إلى الإحسان، أعلى مراتب الإيمان [2].

و من ذلك أيضًا، قوله تعالى في آية هي أشمل آية جمعت الأمر بالخير والنهي عن الشر، قال الله سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [3]، فأمره سبحانه لا يخرج عن العدل والإحسان والعطاء، كما أن نهيه سبحانه وتعالى

---

(١) نضرة النعيم (٢/ ٧٥).

(٢) في ظلال القرآن (١/ ١٩٢).

(٣) سورة: النحل الآية: ٩٠.

لا يدع أي شيء من الفحش والمنكر والظلم.

فإلى جوار العدل، «الإحسان» يلطف من حدة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحًا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثارًا لود القلوب، وشفاء لغل الصدور.

ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحًا أو يكسب فضلًا.

والإحسان أوسع مدلولًا، فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل، فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه، وعلاقاته بأسرته، وعلاقاته بالجماعة، وعلاقاته بالبشرية جميعًا[1].

بل وجعل الله تعالى الغاية من خلق الإنسان هو الإحسان، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾[2]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾[3].

---

(١) في ظلال القرآن: (٤/ ٢١٩٠).

(٢) سورة: الملك الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة: الكهف الآية: ٧.

الإحسان إلى الحيوان:

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاةً يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحُهَا وَهُوَ يَحُدُّ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ هَلَّا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا»[2].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟»، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي

---

(١) أخرجه أحمد: (١٧١١٦)، (٢٨/ ٣٤٢)، ومسلم (١٩٥٥): كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ الأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ، والترمذي (١٤٠٩): أَبْوَابُ الدِّيَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّهْيِ عَنِ الْمُثْلَةِ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/ ٢٥٧)، ح (٧٥٦٣)، والطبراني في الأوسط: (٤/ ٥٣)، ح (٣٥٩٠)، وصححه الألباني في الصحيحة: (١/ ٦٣) ح (٢٤).

يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[1].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَقْبُرَةٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَيْنِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا». وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»[2].

هذه الأحاديث وغيرها فيها بيان أن الإحسان هو عنوان الشريعة.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩) كتاب الجهاد باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٧٥) كتاب الجهاد باب كراهية حرق العدو بالنار وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٥).